IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN:2073-1159 (Print) E-ISSN: 2663-8800 (Online)
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http:,,jis.tu.edu.iq
ISJ

The Connotation of the well-chosen Names on the Meanings of Monotheism due to Allah Almighty

Dr. Mohammed bin H. Bin H. Al-Qarni *

Belief Department, College of Da`wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University – Saudi.

KEY WORDS:

The beautiful names, the purpose of the law, the significance, the significance of the hadith, the significance of the words of Allah .

ARTICLE HISTORY:

Received: 3 / 3 / 2019

Accepted: 13 / 3 / 2019

Available online: 28/3 /2021

ABSTRACT

The research tended to pay attention to mentioning the evidence from the Sharia texts that clarify this connotation, and it came in four sections, which contained what the research intended. Beginning with the explanation of the purpose of the revelation by stating the well-chosen names and introducing them to the worshipers, and explaining the origins of the evidences which are four: Allah Almighty says: "And Allah has the Most well-chosen Names, so call upon Him, and scatter those who deny His names, they will grant what they used to do Al-Aaraf: 180, and the Almighty says: They did not appreciate "Allah has the right of His destiny in the Al-Anaam, Hajj and Zumr, and God Almighty says: "They think Allah is not the truth. The Jahiliyyah think they say: Do we have anything from the matter? Say that the whole matter is for Allah. AAl- Imran: 154 And the Prophet, peace and blessings be upon him, said: There are ninety-nine names for Allah One, whoever counted it entered the Heaven.)

The research concluded that the focus of achieving scientific monotheism and practical monotheism is the detailed knowledge of the well-chosen names of Allah, as the names of Allah are names with meanings that indicate the absolute perfection of Allah in every aspect, and they define what is required of him of monotheism and honesty, and are not fortified celebrities. Whereas the orbit of creation and command is based on the traces of the Most well-chosen Names of Allah, and the orbit of realizing the servitude of Allah Almighty is based on detailed knowledge of the names of Allah Almighty, and knowledge of the meanings of monotheism that are required of Allah Almighty - it was the basis for every known and every worship.

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

* *Corresponding author: E-mail*: **abnhajar32@gmail.com**

دلالة الأسماء الحسنى على معاني التوحيد الواجب لله تعالى

أ.م. د. محمد بن حجر بن حسن القرني

قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى – السعودية.

الخلاصة:

اتجه البحث إلى العناية بذكر الدلائل من نصوص الشرع المبينة لهذا المعنى ، وجاء في أربعة مباحث ، احتوت ما قصد إليه البحث ؛ من بيان مقصد الوحي من بسط ذكر الأسماء الحسنى وتعريف العباد بها ، وبيان أصول الأدلة الدالة على ذلك ، وهي أربعة : قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾الأعراف: ١٨٠ ، وقوله تعالى : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ في الأنعام والحج والزمر ، وقول الله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ آل عمران: ١٥٤ وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (إنّ لله تسعةً وتسعين اسماً ، مائةً إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة).

وقد خلص البحث إلى أنّ مدار تحقيق التوحيد العلمي والتوحيد العملي على العلم المفصل بأسماء الله الحسنى ، إذ أسماء الله الحسنى أسماء ذات معانٍ ، تدل على كمال الله المطلق من كل وجه ، وتعرِّف بما يجب له من التوحيد والتنزيه ، وليست أعلاماً محضة . ولما كان مدار الخلق والأمر على آثار أسماء الله الحسنى ، ومدار تحقيق عبودية الله تعالى قائم على العلم المفصل بأسماء الله الحسنى ، والعلم بما دلّت عليه من معاني التوحيد الواجب لله تعالى – كانت هي الأصل لكل معلوم ولكل عبودية .

الكلمات الدالة: الأسماء الحسنى ، مقصد الشرع ، الدلالة ، دلالة الحديث ، دلالة قول الله.

المقدمة

الحمد لله المحمود بجميع المحامد ، كما أثنى على نفسه ، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، لا نحصي ثناء عليه ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ، أعلم الخلق بما يجب لله من التوحيد والحمد ، وأخشاهم وأتقاهم له . وبعد :

فإنَّ باب العلم بأسماء الله وصفاته ؛ باب عظيم ، إذ هو أصلٌ لكل معلوم ، وأصلٌ لكل عبودية ، ولهذا عظمت عناية السلف وأئمة السنة به ، وخصوه بالتصنيف منذ ظهرت بدعة الجهمية في القرن الثاني من الهجرة ، فصنّف الإمام أحمد كتابه: (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله) ، وصنّف عبد الله بن محمد الجعفي شيخ البخاري (الرد على الجهمية) ، وصنّف البخاري (خلق أفعال العباد والرد على الجهمية) ، وضمَّن صحيحه (كتاب التوحيد) وجعله آخر كتاب في الصحيح ؛ وهو في الرد على الجهمية ، وصنّف عثمان بن سعيد الدارمي كتابيه الشهيرين: (الرد على الجهمية) و (الرد على بشر المريسي) ، وصنّف ابن أبي حاتم (الرد على الجهمية) ، وصنّف ابن قتيبة (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) ، وصنّف محمد بن إسحاق بن منده (الرد على الجهمية) ، ثم توالت التصانيف في ذلك بما هو معلوم مستفيض مشهور.

ولم يكن غرض السلف وأئمة السنة بهذه التصانيف ، والاهتمام بهذا الباب العظيم ؛ مجرد المجادلات الكلامية ، وقالوا وقلنا ، بل كان غرضهم ما قصد إليه الوحي ؛ من أن يعرف العباد ما دلّت عليه أسماء الله الحسنى من صفات الكمال ، فيفردوه بها ، ويعبدوه بما تقتضيه عليهم قولاً واعتقاداً وعملاً .

وقد اتجهت الرغبة إلى الكتابة في هذا الموضوع بذكر أصول دلائل الشرع من الكتاب والسنة ، المبينة دلالة أسماء الله الحسنى على جميع معاني التوحيد الواجب لله تعالى على خلقه ، والدالة على أنَّ العلم بها أصل لكلِّ معلوم ، وأصل لكلِّ عبودية ، بما اشتملت عليه من صفات الكمال والجلال والتعظيم والألوهية والربوبية التي تفرد بها سبحانه ، وأمر عباده بلازمها من توحيده في عبادته وطاعته ، وحمده بمحامده التي لا تليق إلا به. وقد جعلته في تمهيد وأربعة مباحث :

التمهيد: في التعريف بباب الأسماء الحسنى .

المبحث الأول: في بيان مقصد الشرع من بسط ذكر أسماء الله وصفاته ، وتعريف العباد بها .

المبحث الثاني : في دلالة قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

المبحث الثالث : في دلالة حديث (إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) .

المبحث الرابع : في دلالة قول الله تعالى : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ .

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث وتوصياته . والله وحده الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

تمهيد : في التعريف بباب الأسماء الحسنى ودلالتها

الواجب في باب أسماء الله وصفاته ؛ إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إثباتاً من غير تمثيل ولا تكييف ، ومن غير تحريف ولا تعطيل . فهو إثبات ما يليق بجلال الله وعظمته بلا تمثيل ، وتنزيه عما يتنزّه الله عنه ولا يليق بجلاله وعظمته وكبريائه من غير تعطيل . كما قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، فسبّح نفسه عما لا يليق به ، وسلّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب .[3]

والأسماء جمع مفرده اسم ؛ ومعنى (الاسم) اللفظ الدال على سمات المسمى ، قال أهل اللغة: الأسماء سمات دالة على المسميات، ليعرف بها خطاب المخاطب . وهو مشتق من السمو وهو الرفعة والظهور ، وقيل من السمة وهي العلامة ، قال ابن فارس:(وإنما جعل الاسم تنويهاً ودلالة على المعنى ، لأن المعنى تحت الاسم).[4]

والقول بدلالة الأسماء على الصفات والمعاني الواجبة لله تعالى قائم على القاعدتين الكليتين المقررتين عند أهل السنة ؛ إحداهما: أنَّ أسماء الله الحسنى أسماء ونعوت دالة على صفات كمال الرب عز وجل ، ولا تَنافي فيها بين العلمية والوصفية .[5] فاسمه (الله) وهو دال على صفة الألوهية ، واسمه(الرب) وهو دال على صفة الربوبية ، واسمه (الرحمن) وهو دال على صفة الرحمة ، واسمه (العليم) وهو دال على صفة العلم ، وهكذا في بقية الأسماء الحسنى .

---

(١) سورة الشورى: ١١

(٢)سورة الصافات: ١٨٠ – ١٨٢

(٣) انظر في حكاية طريقة أهل السنة في هذا الباب : كتاب الشريعة للآجري ٢,١٠٥١ ، الإبانة الكبرى لابن بطة ٢,٥٢٧ ، التدمرية لابن تيمية ص، ٦-١٢، مجموع الفتاوى ١٣,١٦٠-١٦١.

(٤) انظر : كتاب الصاحبي لابن فارس: ٩٩-١٠٠ ، وشرح المفصل لابن يعيش١,٨٣ . وأصل الخلاف الذي بين البصريين والكوفيين في اشتقاق لفظ (اسم) هل هو من السمو أم من السمة ؟ خلاف لغوي بحت لا علاقة له بالخلاف العقدي مع المعتزلة كما يوهمه كلام القرطبي في تفسيره (١,١٠١) ، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦,٢٠٧-٢٠٩) فقد عرض للمسألة على أنها خلاف لغوي بحت ، واعتبر القول باشتقاق الاسم من السمة كما هو قول الكوفيين صحيحاً ، لكنه رجح قول البصريين في قولهم باشتقاقه من السمو ؛ وقال هو الاشتقاق الخاص ومعناه أخص وأتم .

(٥) انظر : بدائع الفوائد لابن القيم ١,٤٢.

والقاعدة الأخرى : أنَّ أسماء الله وصفاته مترادفة من جهة دلالتها على الذات الإلهية ، ومتباينة من جهة ما تضمنه كل واحد منها من معنى مختص .[١]

قال الدارمي: (أسماء الله هي تحقيق صفاته ... ولا تقاس أسماء الله بأسماء الخلق ؛ لأنَّ أسماء الخلق مخلوقة مستعارة ، وليست أسماؤهم نفس صفاتهم ، بل مخالفة لصفاتهم . وأسماء الله صفاته ، ليس شيء منها مخالفاً لصفاته ، ولا شيء من صفاته مخالفاً لأسمائه ... لأنك إذا قلت: (الله) فهو (الله) ، وإذا قلت: (الرحمن) فهو (الرحمن) وهو (الله) ، فإذا قلت: (الرحيم) فهو كذلك ، وإذا قلت: (حكيم- عليم- حميد- مجيد- جبار- متكبر- قاهر- قادر) فهو كذلك ، هو (الله) سواء ، لا يخالف اسم له صفته ، ولا صفته اسماً . وقد يسمى الرجل حكيماً وهو جاهل ، وحَكَماً وهو ظالم ، وعزيزاً وهو حقير ، وكريماً وهو لئيم ، وصالحاً وهو طالح ، وسعيداً وهو شقي ، ومحموداً وهو مذموم ، وحبيباً وهو بغيض ... وليس كذلك الله تعالى وتقدّس اسمه ، كل أسمائه سواء ، لم يزل كذلك ولا يزال ، لم تحدث له صفة ولا اسم لم يكن كذلك . كان خالقاً قبل المخلوقين ، ورازقاً قبل المرزوقين ، وعالماً قبل المعلومين ، وسميعاً قبل أن يسمع أصوات المخلوقين ، وبصيراً قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة) .[٢] وقال ابن تيمية: (فأسماؤه كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة ، ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل على الاسم الآخر . فالعزيز يدل على نفسه مع عزته ، والخالق يدل على نفسه مع خلقه ، والرحيم يدل على نفسه مع رحمتها ، ونفسه تستلزم جميع صفاته . فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة ، وعلى أحدهما بطريق التضمن ، وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم) .[٣]

وهذا المعنى – الذي هو دلالة الأسماء على صفاتها- قد سماه قوم بالاشتقاق، وقصدوا به أن الأسماء الحسنى دالة على صفات كمال الرب عز وجل ، وأنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى ، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من الأصل حتى يقال إن أسماء الرب قديمة والقديم لا مادة له ، بل المراد دلالتها على صفات الكمال . ولا محذور في التعبير عن هذا المعنى بلفظ الاشتقاق ؛ إذ هي كذلك مشتقة من معانيها القائمة بها.[٤]

وأما القول بأن أسماء الله الحسنى أعلام محضة لا تفيد معنى للمسمى بها ، وإنما هي لمجرد الدلالة على الذات ، وغايتها أن تقوم مقام الإشارة في التعريف بالمسمى بها – فليس هو قولاً

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣,٥٩ ، بدائع الفوائد لابن القيم ١، ٢٨٥ ، والقواعد المثلى لابن عثيمين ص،٢٤-٣١ .

(٢) رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ، تحقيق محمد حامد الفقي ص: ٧-٩.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧,١٨٥ .

(٤) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم ١,٣٩-٤٠، وانظر كتاب اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم الزجاجي.

لأهل السنة ، بل هو مذهب مخالفيهم من المعتزلة ،[١] ومن ذهب مذهبهم في هذه المسألة كابن حزم فإنه قال :(وصح أن أسماءه تعالى أسماء أعلام ليست أوصافاً ولا مشتقة أصلاً)[٢] ، (الله سميع بصير ولا نقول بسمع ولا ببصر ... ولكن سميع بذاته بصير بذاته).[٣] وأصحاب هذا القول لا يفرقون بين الأسماء الحسنى في دلالتها على المعاني ، بل هي عندهم أعلام محضة متساوية الدلالة ، ويقوم بعضها مقام بعض .[٤]

وقد دلّت الأدلة الدلالة القطعية على بطلان هذا القول وفساده ؛ فإنَّ من حجج القرآن التي أبطل الله تعالى بها ألوهية آلهة المشركين أنَّ أسماء الألوهية والربوبية التي أضفاها عليها عبدتُها ما هي إلا أسماء مجردة لم تغير من الحقيقة شيئاً إلا في أذهان عبدتها ، فإنها لا تنطبق معانيها على من وضعت له ، فقال تعالى على لسان هود عليه السلام وهو يجادل قومه في بطلان آلهتهم: ﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖ ﴾[٥] ، وقال على لسان يوسف عليه السلام وهو يجادل صاحبي السجن في بطلان آلهة قومهم : ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾[٦]، وقال على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في إبطال آلهة المشركين : ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾[٧]، فلما كانت تلك الأسماء لتلك الآلهة مزعومة لا حقيقة لها ؛ وصفت

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار :١٨٢-٢١٣. والأشاعرة ينكرون على المعتزلة هذا المذهب ، ويقولون : إن أسماء الله تعالى أسماء ذات معاني وليست أعلاماً مجردة ، انظر المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي (ص:٤١-٤٤ ، ١٤٢-١٤٣) . لكنّ أبا حامد الغزالي أرجع معاني الأسماء الحسنى إلى الصفات السبع التي يثبتها متأخروا الأشاعرة دون غيرها من صفات الرب ، وحاول أن يجيب على إشكال أورده على نفسه ومضمونه : كيف يستقيم القول بمنع الترادف في الأسماء الحسنى وإيجاب تضمن كل اسم معنى غير الذي يدل عليه الآخر مع القول بإرجاع جميع معانيها إلى صفات سبع؟ وحاول دفعه وما أتى بشيء وإن قال بتقسيمها إلى عشرة أقسام ؛ إذ كلها تدور حول إرجاع معانيها إلى الصفات السبع، ويبقى التناقض قائماً على مذهبه . انظر : المقصد الأسنى (ص:١٤٠-١٤١) .

(٢) انظر : الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم:٣٨٤، وانظر ٣٨٢-٣٨٤.

(٣) انظر : الفصل في الملل والنحل لابن حزم:٢,٣١٠ ، وانظر منه أيضا ٢,٣٠٦-٣١٥ .

(٤) انظر تصريح ابن حزم بالتزامه بهذا : الفصل في الملل والنحل لابن حزم:٢,٣١٥ ، وانظر شرح الأصبهانية لابن تيمية:٥١٤-٥١٧ ، ودرء تعارض العقل والنقل٥,٢٤٩-٢٥٠ ، ومنهاج السنة٢,٤٦٨-٤٦٩.

(٥) سورة الأعراف: ٧١

(٦) سورة يوسف: ٤٠

(٧) سورة النجم: ٢٣

بكونها أعلاماً محضة مجردة عن معانيها. بخلاف أسماء الله الحسنى ؛ فإن الله تعالى هو من سمى نفسه بها لا أن الخلق سموه بها ، وهو أعلم بعظمته وكماله ، وأسماؤه دالة على معانيها الحقة التي اختص بها دون غيره ، وليست كأسماء تلك الآلهة المزعومة التي هي أسماء وأعلام محضة مجردة عن معانيها ، ولهذا وجبت له الربوبية والألوهية على خلقه أجمعين . وهذا مما يبين فساد هذا المذهب وما ينطوي عليه من لوازم فاسدة ، ويصدق على أصحابه أنَّهم فروا من شيء فوقعوا في شرٍّ منه .

و(**الحسنى**) تأنيث الأحسن ، أي التي هي أحسن الأسماء ، لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول .[1] ووصَفَ الله أسماءه بالحسنى لأنها بالغة في الحسن نهايته ؛ فهي أحسن الأسماء لفظاً ومعنى وأثراً . وما كونها (حسنى) إلا لدلالتها على ما امتدح به الرب نفسه ، وإلا فأيُّ حسن في أعلام محضة لا تتضمن خصائص المسمى بها وصفاته ومحامده التي يحمده عليها خلقه ؟ بل هي الأصل المشتمل على صفات الرب وأفعاله ، والدالة على معاني توحيده في ألوهيته وربوبيته وكماله في أسمائه وصفاته . ولما كانت أسماءً ذات معانٍ دالة على كمال الله المطلق من كل وجه ، وما يجب له من التوحيد والتنزيه ، كانت الحسنى .[2]

يقول ابن القيم : (أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله ، فهي مشتقة من الصفات ، فهي أسماء ، وهي أوصاف ، وبذلك كانت حسنى . إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى ، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال ، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان ، وبالعكس ؛ فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت المنتقم ، واللهم أعطني فإنك أنت الضار المانع ، ونحو ذلك ... وأيضاً لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معانٍ وصفات لم يسُغ أن يخبر عنه بأفعالها ، فلا يقال: يسمع ويرى ، ويعلم ويقدر ويريد ، فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها ، فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها . وأيضاً فلو لم تكن أسماؤه ذوات معانٍ وأوصاف لكانت جامدة كالأعلام المحضة ، التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به ، فكانت كلها سواء ، ولم يكن فرق بين مدلولاتها ، وهذا مكابرة صريحة ، وبهت بيِّن . فإنَّ مَن جعل معنى اسم القدير هو معنى اسم السميع البصير ، ومعنى اسم التواب هو

---

(١) انظر : فتح القدير للشوكاني ٢,٣٠٥ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣، ١٢٩- ١٣١ ، وشرح الأصبهانية لابن تيمية:٥١٥-٥١٦، و مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢,٤٥٧-٤٥٨ ، و مدارج السالكين لابن القيم ١,٢٢٦-٢٣٥ ، والقواعد المثلى لابن عثيمين ص:١٣.

معنى اسم المنتقم ، ومعنى اسم المعطي هو معنى اسم المانع ، فقد كابر العقل واللغة والفطرة) .[1]

ولذلك قال الله تعالى لعباده : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[2]، ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[3]، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[4] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[5].

المبحث الأول : في بيان مقصد الشرع من بسط ذكر أسماء الله وصفاته وتعريف العباد بها

قد دلّت الدلائل الشرعية على أن مقصد الوحي من بسط ذكر أسماء الله تعالى وصفاته أمران ؛ **أحدهما:** لبيان تمام كمال الرب وجلاله وعظمته وكبريائه، **والثاني** : لبيان تفاصيل خصائص الرب سبحانه وبحمده ، التي تفرد وتوحَّد بها ، وأنها موجب استحقاقه لإفراده بمقتضياتها . وأَمَرَ العباد بلازم ذلك وهو توحيده بخصائصه سبحانه وما يستحقه على عباده قولاً واعتقاداً وعملاً ، وحمدُه بمحامده التي تضمنتها أسماؤه وصفاته . فالتفرد بصفات الكمال المطلق يستلزم تعلق القلب به سبحانه ، محبة وخوفاً ورجاءً وتألهاً في الظاهر والباطن .

يقول ابن تيمية: (والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له ؛ بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سواه . فأفاد الأصلين اللذين بهما يتم التوحيد : وهما إثبات صفات الكمال رداً على أهل التعطيل، وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو رداً على المشركين . وأيضاً فإنّ الله سبحانه أخبر أن له الحمد ، وأنه حميد مجيد ، وأن له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم ونحو ذلك من أنواع المحامد . و الحمد نوعان : حمد على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر ، وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله . وهذا الحمد لا يكون إلا على ما هو في نفسه مستحق للحمد ، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال ، وهي أمور وجودية فإن الأمور العدمية المحضة لا حمد فيها ولا خير ولا كمال . ومعلوم أن كل ما يحمد فإنما يحمد على ما له من صفات الكمال ، فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق ،

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١,٢٢٦، ٢٢٩-٢٣٠ ، وانظر بدائع الفوائد لابن القيم ١، ٢٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧,٢٩٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠

(٣) سورة الإسراء: ١١٠

(٤) سورة طه: ٨

(٥) سورة الحشر: ٢٤

والذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد ، فثبت أنّه المستحق للمحامد الكاملة ، وهو أحق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب) . [١]

وقد تضمنت نصوص الأسماء والصفات تقرير ثلاثة أصول ؛ فقد قررت صفات كمال الرب سبحانه ، وقررت تفسير معاني أسمائه وصفاته التي توحَّد بها وتفرد ، وقررت لازم ذلك وهو توحيده وعبادته في كماله وما يستحقه على عباده وما هم فيه إليه فقراء محتاجون .

وهذا الأصل الثالث من هذه الأصول هو المقصد من البحث هنا . ومن أمثلة نصوص الصفات التي فيها التصريح بذكر لازم كمال الرب في أسمائه وصفاته ، قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٣] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [٤] فصرح في هذه الآيات بذكر لازم كماله في أسمائه وصفاته ، وهو توحيده، والبراءة من الشرك والتعطيل وأهله ، وحمده بما له من المحامد قولاً وعملاً .

ومحل الدلالة في هذه الآيات في قوله تعالى: (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ) ، وقوله : (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ) ، وقوله : (سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) ، وقوله: (يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) . فإن شهادة التوحيد تدل على تفرده سبحانه بالألوهية ، وتنزيهه بالبراءة من الشرك يستلزم إفراده بالألوهية ، وكل ذلك لما له من الأسماء الحسنى الدالة على تفرده بما يجب له عز وجل . ولذلك قال الإمام أحمد : (نعبد الله بصفاته ، كما وصف به نفسه) . [٥] وقال أبو القاسم القاسم التيمي الأصبهاني : (قال بعض العلماء : أول فرض فرضه الله تعالى على خلقه معرفته ، فإذا عرفه الناس عبدوه ، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [٦]. فينبغي للمسلمين أن يعرفوا

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦,٨٣-٨٤ .

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥

(٣) سورة غافر: ٦٥

(٤) سورة الحشر: ٢٢ – ٢٤

(٥) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ٢، رقم ٢٨٤٥ .

(٦) سورة محمد: ١٩

أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته ... فالله الذي خلقنا ورزقنا ونحن نرجوا رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها) .[١] ومثله قول ابن القيم إن الله تعالى جعل مفتاح الرسل عليهم السلام وزبدة رسالتهم : (معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعلى هذه المعرفة تتبني مطالب الرسالة جميعها؛ فإن الخوف والرجاء والمحبة والطاعة والعبودية تابعة لمعرفة المرجو المخوف المطاع المعبود).[٢]

فمعرفة أسماء الرب وما دلّت عليه من صفات الكمال والجلال من أعظم الأدلة والبراهين على أنه المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده . قال ابن سعدي: (النعوت العظيمة ، والأوصاف الكاملة ، أكبر الأدلة والبراهين على أنه المعبود وحده ، الذي يجب أن يذلَّ له غاية الذلِّ والتعظيم ، وغاية الحب والتأله ، وأنّه الحق وما سواه باطل . وهذه حقيقة التوحيد ، ولبّه وروحه ، وسر الإخلاص).[٣]

فإذا تبين ذلك ؛ فإنَّ أسماء الله تعالى قد جمعت معاني توحيد الله تعالى الواجب له على عباده ، في ألوهيته ، وربوبيته ، وكماله في أسمائه وصفاته وأفعاله ، بما تضمنته من تلك المعاني ودلت عليه . ودلالة الأسماء الحسنى على الصفات متنوعة ، فمن الأسماء الحسنى ما يدلُّ على معاني ألوهيته واستحقاقه على عباده العبادة والطاعة كاسم: الله والإله والصمد والحَكَم ، ومنها ما يدلُّ على ربوبيته وانفراده بالخلق والتدبير كاسم : الرب والخالق والبارئ والمصور والملك والمالك والمهيمن والمتكبر، ومنها ما يدلُّ معاني الكمال والجلال والتعظيم والتنزيه كاسم: السلام والقدوس والعظيم والمجيد.

ومَن تأمل أسماء الله تعالى وما دلَّت عليه وتضمنته ؛ فُتح له باب عظيم من العلم ، وتبين له ارتباط الخلق والأمر بالأسماء الحسنى ، وأن الخلق والأمر أثر من آثارها ، وعنها يصدران . فإنَّ مدار تحقيق العبودية ومعرفة ما يختص الله به ويجب له قائم على العلم المفصل بأسمائه الحسنى ، ولذا كان من طريقة القرآن ختم الآيات بأسماء الله المناسبة للسياق ، لبيان أن خلقه وأمره وحقه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً إنما هو صادر عن أسمائه وصفاته ، فرجعت العبودية ، والخلق والأمر ، إلى مقتضى الأسماء الحسنى .[٤]

ومن قصَّر في العلم بهذا الباب وقع في التقصير فيما يجب لله تعالى من التوحيد . وبالجملة فإن أصل التوحيد والإيمان وقاعدته ؛ هو إثبات أسماء الله الحسنى وما تضمنته من الصفات ، (وكلما كان العبد بها أعلم ؛ كان بالله أعرف ، وله أطلب ، وإليه أقرب . وكلما كان لها أنكر ؛

(١) الحجة في بيان المحجة ١,١٢٢-١٢٣.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة١,٤.

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد لابن سعدي ص: ٢٩٠ .

(٤) انظر : مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢,٩٠ وما بعدها .

كان بالله أجهل ، وإليه أكره ، ومنه أبعد . والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه ، فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضاً وعنها نافراً ومنفراً ؛ فالله أشد له بغضاً ، وعنه أعظم إعراضاً ، وله أكبر مقتاً).[1]

والأدلة الشرعية قد أوضحت هذا غاية الإيضاح ، وبينته غاية البيان ، وبينت أن مدار الخلق والأمر الكوني القدري والأمر الشرعي والعبودية على أسماء الله الحسنى . فقد ذكر الله في كتابه أنّ ما سمى به نفسه هو الكمال الذي لا يستحقه سواه ،[2] فجاحده جاحد لكمال الرب تعالى ، وتمدح بكل اسم وما تضمنه من وصف وأثنى به على نفسه ، ومجد به نفسه ، وحمد به نفسه ، فذكر الله سبحانه أسماءه الحسنى على وجه المدحة له والتعظيم والتمجيد ، وتعرف بها إلى عباده ليعرفوا كماله ومجده وعظمته وجماله ، وكثيراً ما يذكرها عند ذكر آلهتهم التي عبدوها من دونه ، فيذكر سبحانه من أسمائه الدالة على صفات كماله ما هو منتف عن آلهتهم، فيكون ذلك من أدل دليل على بطلان إلهيتها وفساد عبادتها .

وكانت سورة الإخلاص: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [3] تعدل ثلث القرآن ، لأنها أخلصت الإخبار عن الرب تعالى بأسمائه الدالة على كمال صفاته دون خلقه، عن عائشة رضي الله عنها: (أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك ، فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه) .[4] فتعرَّف إلى عباده بـ:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾، لإعلامهم أنه الأحد المتفرد بالكمال المطلق في معاني الخلق والملك والتدبير ومن بيده كل شيء ، فلذلك لا يجوز أن يقصد العباد غيره في عبوديته وطلب قضاء حوائجهم ، فإنه الصمد والسيد المقصود في قضاء الحوائج والمسائل .[5]

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية المشهورة بالنونية لابن القيم ص: ٣٢-٣٣ ، وانظر القول السديد شرح كتاب التوحيد لابن سعدي ،ص:٢٣٠ ، ٢٥٥ .

(٢) الكلام هنا [وما بعده] مستفاد من الصواعق المرسلة لابن القيم [تحقيق الدخيل] مع تصرف فيه وتقديم وتأخير واختصار ٤,٩٠٩-٩١٧ ، وانظر بدائع الفوائد ١، ٢٨٦-٢٨٧.

(٣) سورة الإخلاص: ١ – ٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، ك التوحيد ، ح:٦٩٤٠ ، ومسلم في صحيحه ، ح: ١٣٤٧ .

(٥) انظر: تفسير ابن جرير ٢٤,٦٩١-٦٩٣، تفسير ابن كثير ٨,٥٢٨-٥٢٩، تفسير السعدي ٨,٢٠٠٠ ، بدائع الفوائد لابن القيم١,٢٨٢-٢٨٣و٢٩٦-٢٩٧، وانظر ما ذكره ابن تيمية فيما من ورد في تفسير اسم الله (الصمد) ١٧,٢١٤-٢٣٤.

وكانت آية الكرسي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾[1] سيدة آي القرآن وأفضلها ، لاشتمالها على دلائل توحيده بما له من الأسماء والصفات، وفيها الاسمين من أسماء الله الحسنى: (الحي القيوم) ، اللذين قيل إنهما اسم الله الأعظم ؛ لما تضمّناه من معاني جميع الصفات ، فاسم (الحي) مشتمل على جميع الصفات الذاتية ، واسم (القيوم) مشتمل على جميع صفات الأفعال ، وقيل اسم الله الأعظم غيره .[2]

وقد تنوعت طريقة القرآن في بيان شمول أسماء الله الحسنى للخلق والأمر :

فتارة يذكر الرب أسماءه الحسنى عند دعوته عباده إلى ذكره وشكره وعبادته ، فيذكر لهم من أسمائه الدالة على أوصاف كماله ونعوت جلاله ما يجدون قلوبهم إلى المبادرة إلى دعوته والمسارعة إلى طاعته ، ويذكر لهم أسماءه الدالة على صفاته عند ترغيبهم وترهيبهم لتعرف القلوب من تخافه وترجوه . وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو ويقول : (اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . فقال : لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب ، وفي لفظ : لقد سألت بالاسم الأعظم) .[3] وذلك لما تضمنه هذا الدعاء من أسماء الرب وصفاته . وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن ؛ فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرجاً . قال : فقيل : يا رسول الله ألا نتعلمها ؟ فقال : بلى ، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها) .[4]

وتارة يذكر أسماءه المتضمنة لصفاته عند سؤال عباده لرسوله صلى الله عليه وسلم عنه جل وعلا ، ويذكرها عند سؤالهم له عن أحكامه ، حتى إن الصلاة لا تنعقد إلا بذكر أسمائه وصفاته ، فذكر أسمائه روحها وسرها ، يصحبها من أولها إلى آخرها . وإنما أمر بإقامتها ليذكر بأسمائه

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥ .

(٢) انظر الأقوال في تعيين اسم الله الأعظم : كتاب (اسم الله الأعظم) للدكتور عبد الله بن عمر الدميجي . وللسيوطي رسالة بعنوان : (الدر المنظم في الاسم الأعظم) ضمن كتابه الحاوي للفتاوي ١,٣٨٠-٣٨٣.

(٣) رواه أبو داود في سننه ، ك الصلاة ، ح ١٤٩٣ والترمذي في سننه ، ك الدعوات ، ح ٣٤٧٥ وقال هذا حديث حسن غريب .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ، مسند عبد الله بن مسعود ، ح : ٣٧٠٤.

وصفاته ، وأمر عباده أن يسألوه بأسمائه وصفاته ، ففتح لهم باب الدعاء رغباً ورهباً ليذكره الداعي بأسمائه وصفاته ، فيتوسل إليه بها ، ولهذا كان أفضل الدعاء ما توسّل فيه الداعي إليه بأسمائه وصفاته .

وتارة يذكر أسماءه عند أحكامه وأوامره ونواهيه ، فقلَّ أن تجد آية حكم من أحكام المكلفين إلا وهي مختتمة باسم من أسمائه الحسنى أو اسمين ، للدلالة على صدور الأحكام عن معاني الأسماء الحسنى. كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1] وقوله : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] وقوله في آية المواريث : ﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[3] وقوله : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4] ونحو ذلك من الآيات مما كثر وروده في القرآن الحكيم .

وبالجملة ؛ فالأمر في شأن ارتباط الخلق والأمر بأسماء الله الحسنى كما قال ابن القيم :(من كان له نصيب من معرفة أسمائه الحسنى ، واستقر عنده آثارها فى الخلق والأمر ، رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكمل انتظام ، ورأى سريان آثارها فيهما ، وعلم- بحسب معرفته بها – ما يليق بكماله وجلاله أن يفعله وما لا يليق . فاستدل بأسمائه على ما يفعله وما لا يفعله ، فإنه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته . وكذلك يعلم ما يليق به أن يأمر به ويشرعه مما لا يليق به ، فيعلم أنه لا يأمر بخلاف موجب حمده وحكمته ... فسبحانه وبحمده ، لا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يثنى عليه خلقه. فله الحمد أولاً وآخراً ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما ينبغي لكرم وجهه ، وعز جلاله ، ورفيع مجده ، وعلو جده) .[5]

والأدلة الشرعية في بيان دلالة الأسماء الحسنى على معاني التوحيد الواجب لله تعالى كثيرة متنوعة ، ولكن يمكن القول بأنَّ أصول هذه الأدلة اجتمعت في ثلاثة دلائل ؛ فمنها ما جاء في بيان أن تحقيق التوحيد مبني على تحقيق العلم بأسماء الله تعالى ، ومنها ما جاء في تقرير أن الانحراف عن التوحيد سببه الانصراف عن العلم بأسماء الله وصفاته وما تقتضيه ، أو التحريف

---

(١) سورة الممتحنة: ١٠ .

(٢) سورة النساء: ٢٦.

(٣) سورة النساء: ١١.

(٤) سورة المائدة: ٣٨ .

(٥) طريق الهجرتين لابن القيم ١,٢٧٣-٢٧٩ ، وانظر الصواعق المرسلة ٤,٩٠٩-٩١٧ ، وبدائع الفوائد ١، ٢٨٦.

في باب أسماء الله تعالى وصفاته وما تقتضيه ، ومنها ما جاء أن دخول الجنة معلق بإحصاء الأسماء الحسنى قولاً واعتقاداً وعملاً . وهو ما ستتبين وجوه دلالتها على هذا المعنى في المباحث الثلاثة الآتية .

المبحث الثاني : في دلالة قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾:

يقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١) ومثله قول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾(٢)، وقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾(٣) وقول الله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾(٤) .

فأما قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ فإنَّ هذه الآية قد دلت على دلالة الأسماء الحسنى على التوحيد : في قوله تعالى : (فَٱدْعُوهُ بِهَا) ، وفي قوله تعالى: (وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ) .

فأما دلالة قوله تعالى: (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا) ؛ ففيه تعليل الأمر بدعائه سبحانه بأنَّه الذي له الأسماء الحسنى ، المتضمنة لكماله وجلاله وكبريائه وعلوه وفوقيته ، والدالة عليه، والتي ليست لغيره ولا يماثله فيها أحد. فقوله تعالى : (فَٱدْعُوهُ بِهَا) يعني اعبدوه بما تقتضيه أسماؤه الحسنى وتوجبه . فهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ، ويثنوا عليه بها ، ويفردوه بما تقتضيه أسماؤه الحسنى من لزوم عبوديته وحده دون سواه .

فإن الأمر بإخلاص الدعاء لله يعني الأمر بإخلاص العبادة له ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾(٥) قال ابن جرير: (وقوله : (لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ) دُعَآؤُكُمْ ۖ) يقول : لولا عبادة من يعبده منكم ، وطاعة من يطيعه منكم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .. ثم روى بسنده عن ابن عباس قال : قوله : (ما يعبأ بكم ربي لولا

(١) سورة الأعراف: ١٨٠.
(٢) سورة الإسراء: ١١٠.
(٣) سورة طه: ٨ .
(٤) سورة مريم: ٦٥ .
(٥) سورة الفرقان: ٧٧ .

دعاؤكم) يقول : لولا إيمانكم ، وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين ، ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حببه إلى المؤمنين) .[١]

وكما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٢]، روى أصحاب السنن عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الدعاء هو العبادة . ثم قرأ : "وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين") .[٣] قال في شرح الطحاوية: (الدعاء اسم يجمع العبادة والاستعانة وقد فسر قوله "وقال ربكم ادعوني استجب لكم" بالدعاء الذي هو العبادة والدعاء الذي هو الطلب ، وقوله بعد ذلك "إن الذين يستكبرون عن عبادتي" يؤيد المعنى الأول).[٤]

وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾[٦] قال ابن القيم: (والمعنى إنا كنا من قبل نخلص له العبادة ، وبهذا استحقوا أن وقاهم عذاب السموم ، لا بمجرد السؤال المشترك بين الناجي وغيره ، فإن الله سبحانه يسأله من في السماوات ومن في الأرض ، والفوز والنجاة إنما هي بإخلاص العبادة لا بمجرد السؤال. وكذلك قول الفتية أصحاب الكهف :(رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا) ، أي لن نعبد غيره) .[٧]

والدعاء بمعنى العبادة والدعاء بمعنى المسألة متلازمان ، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة . وكل موضع في القرآن ذُكر فيه دعاء الله فإنه متناول لنوعي الدعاء ، وقد يكون إرادة دعاء العبادة في بعضها أظهر ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ

---

(١) تفسير ابن جرير ١٩، ٣٢٣ ، وانظر: فتاوى ابن تيمية ١٠، ٢٣٧-٢٤١ ، وأضواء البيان ٦، ٨١-٨٤ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن رجب ١، ٢٠-٢١ ، وبدائع الفوائد لابن القيم ٢,٨٣٧ .

(٢) سورة غافر: ٦٠ .

(٣) رواه أبو داود في سننه ، ك الصلاة ، ح: ١٤٧٩ ، والترمذي في سننه ، ك تفسير القرآن، ح: ٣٢٤٧ وقال هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في سننه ، ك الدعاء، ح: ٣٨٢٨ ، وقال ابن حجر سنده جيد : فتح الباري ١، ٦٤ .

(٤) شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢,٣٠٣ .

(٥) سورة الطور: ٢٨ .

(٦) سورة الكهف: ١٤ .

(٧) بدائع الفوائد ٢، ٨٤١ ، وانظر: ٢، ٨٣٨-٨٣٩ .

ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ ﴾ [١]، وقوله: (فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ) [٢]، وقد يكون في بعضها إرادة دعاء المسألة أظهر ؛ كقوله تعالى عن زكريا عليه السلام : (وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا) [٣]، إلا إن هذين المعنيين للدعاء متلازمان لا يتصور انفكاك أحدهما عن الآخر ، وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما ، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ، بل هو استعمال له في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعا . [٤]

وعبادة الله غاية المطلوب من العباد ، وغاية خلق الخلق ، وغاية رسالات الرسل ، وعليها مدار الأمر كله ، وهي الاسم الجامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة . [٥] فعاد أمر العبادة ، وحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، إلى كونه الذي له الأسماء الحسنى .

وأما قول الله تعالى : (وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) :

فإنَّ حقيقة الإلحاد في أسماء الله الحسنى هو العدول بها عن الصواب فيها ، إما بإدخال ما ليس من معانيها فيها ، أو بإخراج حقائق معانيها عنها ، والزعم بأنها أعلام محضة مجردة للعلمية وليست ذات أوصاف ومعاني تُعرِّف بخصائص الرب وما يستحقه . [٦] قال ابن القيم : (نفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها .. لأنها لو لم تدل على معان وأوصاف ؛ لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها . لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها، وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾[٧]فعلم أن القوي من أسمائه ، ومعناه الموصوف بالقوة ، وكذلك قوله : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[٨] فالعزيز من له العزة ، فلولا ثبوت

---

(١) سورة الحج: ٧٣ .

(٢) سورة غافر: ١٤ .

(٣) سورة مريم: ٤ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠,١٥-١٩ ، وانظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢، ٨٣٥-٨٤٢

٨٤٢

(٥) انظر : رسالة العبودية لابن تيمية المطبوع ضمن مجموع الفتاوى ١٠,١٤٩ وما بعدها .

(٦) انظر في أنواع الإلحاد في الأسماء الحسنى : مدارج السالكين لابن القيم ١، ٢٢٦-٢٣٥ ، بدائع بدائع الفوائد لابن القيم ١,٢٩٨-٢٩٩، مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢,٤٥٧-٤٥٨ ، القول السديد شرح كتاب التوحيد لابن سعدي ص، ٢٥٧، القواعد المثلى لابن عثيمين ص، ٥٣-٥٦ .

(٧) سورة الذاريات: ٥٨ .

(٨) سورة فاطر: ١٠ .

القوة والعزة له لم يسمَّ قوياً ولا عزيزاً . وكذلك قوله : ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾[1] ،﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾[2]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾[3]. فنفي معاني أسمائه من أعظم الإلحاد فيها) .[4]

ومن الشواهد على أن مذهب السلف اعتقاد تضمن الأسماء الحسنى للمعاني التي يختص الرب بها دون غيره ؛ قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في اسم (الله) : ("الله" : ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين) .[5]

وفي الآية تنبيه عظيم على أنّ إخلاص العبادة لله لا يتم إلا لمن عرفه بأسمائه الحسنى ، وأدى حقها علماً وعملاً ، وعلى أنّ إعراض من أعرض عن إخلاص العبادة له سببه إلحادهم في أسمائه ، وإعراضهم عن أداء حقها عليهم . يقول ابن تيمية: (ولهذا كان أهل الإسلام والسنة الذين يذكرون أسماء الله يعرفونه ويعبدونه ويحبونه ويذكرونه ويظهرون ذكره ، والملاحدة الذين ينكرون أسماءه تعرض قلوبهم عن معرفته وعبادته ومحبته وذكره) .[6]

فدلت هذه الآية العظيمة على أن لازم كون الرب تعالى له الأسماء الحسنى ؛ هو إخلاص العبادة والطاعة له وحده ، وأن أسماءه الحسنى قد تضمنت تفاصيل كماله في معاني حقائقها التي تفرد بها والتي لا يساميه فيها أحد ؛ وعلى العباد أن يعلموا ذلك ويتعلموه ليفردوه بما تقتضيه عليهم ، ويتحقق لهم العلم والعمل بما أمروا به من عبادة الله وحده دون شريك وتحكيم شريعته .

ومثل هذه الآية ؛ في الدلالة على دلالة الأسماء الحسنى على معاني التوحيد الواجب لله تعالى ، وتعليل الأمر بإخلاص العبودية له بأنّه الذي له الأسماء الحسنى ؛ قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[7] .

قال ابن جرير: (وأما قوله تعالى ذكره: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ) فإنه يعني به : المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ، يقول : فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ما سواه من الآلهة والأوثان ، (لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ) يقول جل ثناؤه : لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى) .[8] فقوله سبحانه: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ) ، جَمَعَ ما ذُكر في الآيات التي قبله من صفاته وزيادة ، فإنه قال قبل

---

(١) سورة النساء: ١٦٦.

(٢) سورة هود: ١٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ١، ٢٢٦-٢٣٢ .

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره ١,١٢٣ .

(٦) مجموع الفتاوى ٦,٢٠٩ .

(٧) سورة طه: ٨.

(٨) تفسير ابن جرير ١٨,٢٧٤ .

ذلك ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾[1]، فذكر خلقه المخلوقات ، وعظمته ، واستواءه ، وإحاطته بخلقه علماً وقدرة ، ثم جاء بهذا التذييل الجامع لصفاته ، فقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ، أي الذي استحق على خلقه أن يعبدوه لوجود أسباب استحقاقه العبودية ، بما له من الأسماء الحسنى.[2]

يقول البقاعي: (ولما كان من هو بهذه الأوصاف من تمام العلم والقدرة ربما ظُنَّ أنَّ له منازعاً ، نفى ذلك بقوله – معلماً أنَّ هذا الظن باطل قطعاً لا شبهة له – وأن ما مضى ينتج قطعاً : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ . ثم علل ذلك بقوله: **(لَهُ)** أي وحده ، ﴿ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي صفات الكمال، التي لا يصح ولا يتصور أن يشوبها نقص ما ، بل هو متصف بها دائماً اتصافاً حقيقياً لا يمكن انفكاكه ، كما يكون لغيره من الاتصاف ببعض المحاسن في بعض الأحايين ثم يعجز عنه في وقت آخر أو بالنسبة إلى زمان آخر).[3] ويقول ابن سعدي: (فلما قرّر كماله المطلق بعموم خلقه وعموم أمره ونهيه وعموم رحمته وسعة عظمته وعلوه على عرشه وعموم ملكه وعموم علمه؛ نتج من ذلك أنه المستحق للعبادة، وأن عبادته هي الحق التي يوجبها الشرع والعقل والفطرة، وعبادة غيره باطلة فقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ؛ أي: لا معبود بحق ، ولا مألوه بالحب والذل والخوف والرجاء والمحبة والإنابة والدعاء إلا هو . ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: له الأسماء الكثيرة الكاملة الحسنى، من حسنها أنّها كلها أسماء دالة على المدح، فليس فيها اسم لا يدلُّ على المدح والحمد، ومن حسنها أنها ليست أعلاما محضة وإنما هي أسماء وأوصاف، ومن حسنها أنها دالة على الصفات الكاملة، وأن له من كل صفة أكملها وأعمها وأجلها، ومن حسنها أنه أمر العباد أن يدعوه بها؛ لأنها وسيلة مقربة إليه، يحبها ويحب من يحبها، ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها، ويتعبد له بها، قال تعالى: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها).[4]

وأما قول الله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[5]، فمحل فمحل دلالة الآية على دلالة الأسماء الحسنى على معاني التوحيد الواجب لله تعالى ، وأنّ لازم إثباتها هو إخلاص العبودية لله الذي له الأسماء الحسنى التي لا يساميه فيها أحد – في قوله

---

(١) سورة طه: ٤ – ٧ .

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٧، ٢٩٢ ، تفسير الألوسي ١٦,١٦٤.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٢,٢٧٠.

(٤) تفسير ابن سعدي ٥,١٠١٨.

(٥) سورة مريم: ٦٥ .

سبحانه (هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا) ؛ فإنه واقعٌ موقع التعليل للأمر بعبادته والاصطبار عليها . والاستفهام إنكاري ، أي لا مسامي لله تعالى ولا مماثل له ينازعه حقيقة أسمائه وصفاته ، فكيف يعبد سواه ؟ وكيف لا يصطبر على عبادته وحده ؟ وهو المتفرد بمعاني توحيده التي دلت عليها أسماؤه الحسنى تضمناً واقتضاءً . فلمّا كان الرب سبحانه هو الذي له الأسماء الحسنى المتضمنة لصفات الكمال لا يماثله في ذلك أحد استحق أن يفرد بالعبادة ومعاني التوحيد ، وأن يصطبر على عبادته .[1] يقول ابن سعدي: (" هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا " ؛ أي: هل تعلم لله مسامياً ومشابهاً ومماثلاً من المخلوقين؟ وهذا استفهام بمعنى النفي المعلوم بالعقل ، أي: لا تعلم له مسامياً ولا مشابهاً . لأنه الرب وغيره مربوب، الخالق وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه وغيره فقير بالذات من كل وجه ، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى . فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية ، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل ، **فلهذا أمر بعبادته وحده ، والاصطبار لها ، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى**) .[2] فعبودية الله تعالى لازم كماله في أسمائه وصفاته ، كما قال ابن القيم : (لا ريب أن كمال العبودية تابع لكمال المحبة ، وكمال المحبة تابع لكمال المحبوب في نفسه ، والله سبحانه له الكمال المطلق التام في كل وجه ، الذي لا يعتريه توهم نقص أصلاً ، ومن هذا شأنه فإنَّ القلوب لا يكون شيء أحب إليها منه ، ما دامت فطرها وعقولها سليمة ... وهذا الباعث أكمل بواعث العبودية وأقواها) .[3]

فلما كان لا نظير له في أسمائه وما تضمنته من الحقائق ، ولا سمي له كان لا إله غيره ولا رب سواه .

فدلَّ ما سبق على أنّ توحَّد الله تعالى وتفرده بمعاني الكمال وموجبات استحقاق العبودية على الخلق متضمَّنٌ في أسمائه وصفاته ، وأنّ إفراده سبحانه بالعبادة والطاعة لازم كماله في أسمائه وصفاته .

المبحث الثالث : في دلالة حديث (إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة)

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ لله تسعةً وتسعين اسماً ، مائةً إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة).[4]

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير ١٨,٢٢٦، التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧,٢٤٢ .

(٢) تفسير ابن سعدي ٥,١٠٠٨.

(٣) مفتاح دار السعادة ٢,٤٩٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، ك التوحيد ، ح:٦٩٥٧ ، ومسلم في صحيحه ، ح: ٢٦٧٧.

في هذا الحديث الوعد بالجنة لمن أحصى أسماء الله عز وجل ، وترتيب هذا الجزاء العظيم بالجنة على من أحصى أسماء الله يدل على أن لهذا الإحصاء شأناً عظيماً .

وبيان هذا الشأن أن يقال : لما كانت أسماء الله سبحانه وتعالى متضمنة لمعاني كماله التي تفرد بها ؛ كان إحصاؤها هو الطريق للعلم بتفاصيل كمال الرب عز وجل، وكلما كان العبد بالله أعرف وأعلم كان له أخشى وأتقى ، والعلم بذلك لا يكون نافعاً إلا إذا لازَمَه العمل بما يقتضيه ذلك العلم . ولذا فإن إحصاء أسماء الله تعالى لا يتحقق ويكون نافعاً إلا إذا اجتمع فيه العلم والعمل . قال أبو نعيم الأصبهاني: (الإحصاء المذكور في الحديث ليس هو التعداد ، وإنما العمل والتعقل بمعاني الأسماء والإيمان بها) .[١] وهذا هو الصواب في معنى الإحصاء الوارد في الحديث ، من جهتين : **من جهة معنى لفظ (الإحصاء)** ؛ فإنه مستعمل في معنى العدِّ والحفظ ، وفي معنى التعقل والفهم ، يقال: فلان ذو حصاة ؛ أي ذو عقل وفهم ومعرفة .[٢] فلفظ الإحصاء يجمع في معناه العلم بالشيء وحفظه ، وكذلك تعقله وفهمه والعمل بمقتضاه .

وقد دلّ على ذلك استعماله في النصوص الشرعية بهذا المعنى ، مثل قول الله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾[٣] أي لن تطيقوا العمل به ، قال ابن جرير: (يقول : علم ربكم ، أيها القوم الذين فرض عليهم قيام الليل ، أن لن تطيقوا قيامه (فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ) ، إذ عجزتم وضعفتم عنه ، ورجع بكم إلى التخفيف عنكم . وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: (أَن لَّن تُحۡصُوهُ) قال أهل التأويل).[٤] فمعنى (لَّن تُحۡصُوهُ) في الآية لن تطيقوه عملاً ، ففيه تفسير الإحصاء بالعمل .

وفي الحديث (لا أحصي ثناء عليك) قال ابن الأثير : (أي لا أحصي نعمتك والثناء بها عليك ، ولا أبلغ الواجب فيه) .[٥] فالمعنى لا أُحصي الثناء عليك قولاً ، ولا أُحصيه عملاً . وفي الحديث (استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة) ، وهو في معنى الحديث الأول : ولن تحصوا الاستقامة قولاً وعملاً .

---

(١) نقله ابن حجر في فتح الباري١١,٢٢٦، وانظر التعليق على القواعد المثلى للشيخ عبد الرحمن البراك ص٥١-٥٢.

(٢) انظر: القاموس المحيط٤,٣١٩ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير١,٣٩٧-٣٩٨ ، تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٢٢-٢٤ وشأن الدعاء للخطابي ص٢٦-٢٩.

(٣) سورة المزمل٢٠.

(٤) تفسير ابن جرير ٢٣,٦٩٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١، ٣٩٧.

والجهة الثانية من جهتي دلالة لفظ الإحصاء في الحديث على تضمنه للتوحيد العلمي والتوحيد العملي : أنَّ المقرّر في نصوص الكتاب والسنة ، والمُجمَع عليه من سلف الأمة ، أنَّ الوعد بدخول الجنة مشروط مقيد بتحقيق الإيمان قولاً وعملاً،[1] فمجيء الوعد في هذا الحديث بالجنة لمن أحصى أسماء الرب جل جلاله لا يخرج عن هذا المقرر المجمع عليه عند السلف ، من أنه مشروط بالجمع بين القول والعمل . وعلى هذا قال ابن القيم: (مراتب إحصاء أسمائه تبارك وتعالى التي من أحصاها دخل الجنة ثلاث ؛ المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها ومعانيها ، المرتبة الثانية فهم معانيها ومدلولها ، المرتبة الثالثة دعاؤه بها ، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[2] وهو مرتبتان أحدهما دعاء ثناء وعبادة ، والثاني دعاء طلب ومسألة) .[3]

وعلى هذا فإن وجه دلالة الحديث على أن أسماء الله تعالى الحسنى قد استوفت معاني التوحيد العلمي والتوحيد العملي : ما جاء فيه من الحث على العلم بها والعمل بمقتضاها ، باستعمال لفظ (الإحصاء) المتضمن لهذا المعنى ، لأن إحصاءها يعني العلم المفصل بها وبمعانيها وما تقتضيه ، والقيام بمقتضياتها قولاً واعتقاداً وعلماً وعملاً . ومن عرف أسماء الله ومعانيها فآمن بها ، كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء وإنما آمن بها إيماناً مجملاً ، أو عرف بعضها ، دون أن يحصي العلم بها والعمل بما تقتضيه. ومعلوم أنه إذا لم يحصِ العلم بها لم يحص العمل بما تقتضيه وتوجبه ، فيقع في التقصير في العلم والعمل بما يجب عليه لله من توحيده وإفراده بما يستحقه في القول والاعتقاد والعمل ، وكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته كان إيمانه أكمل .[4]

ولولا أن الأسماء الحسنى قد تضمنت كمالات الرب وعرَّفت بما يجب للرب من التوحيد العلمي والتوحيد العملي لما علق الوعد العظيم بدخول الجنة على إحصائها ، فلما جاء هذا التعليق بدخول الجنة على إحصائها أفادت دلالة ذلك على أن الأسماء الحسنى قد تضمنت ما يجب للرب سبحانه من التوحيد العلمي والتوحيد العملي ، وأن إحصاء الأسماء الحسنى المعلق عليه الوعد بدخول الجنة هو إحصاؤها علماً وإحصاؤها عملاً .

المبحث الرابع : في دلالة قول الله تعالى : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ .

أخبر الله تعالى أنّ سبب انصراف العباد عن عبادته ، وانحرافهم عن طاعته ، وما يجب له ، ويليق بعلمه وحكمته وعدله ؛ أنَّهم ما قدروه حق قدره ، لأنهم ما عرفوه حق معرفته ، حيث جهلوا

---

(١) انظر مثلاً : كتاب الشريعة للآجري ٢,٦٨٤-٦٨٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٣) بدائع الفوائد ١,٢٨٨ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧,٢٣٣-٢٣٤ .

أسماءه وصفاته ، وجهلوا ما تضمنته ودلت عليه . وبسبب ذلك أنكروا أصول الدين ، فأنكروا رسالات الرسل التي بعثهم الله بها إلى خلقه ، وعبدوا غيره الضعيف العاجز الذي ما ازدادوا به إلا ضعفاً وعجزاً وذلاً وخزياً ، وأنكروا المعاد إليه وقدرته على إعادتهم كما بدأهم . وبيَّن سبحانه في كتابه أن كل ذلك راجع إلى جهلهم به ، وبكماله وجلاله في أسمائه وصفاته ، ولو عرفوه ما كفروا به ولا أشركوا معه أحداً ، ولا كذبوا خبره وخبر رسله . يقول الله سبحانه : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ [1] ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [2] ويقول تعالى: ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [3]

قال ابن تيمية: (والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب بأن يكون هو المعبود وحده لا شريك له ، وإنما يعبد بما أمر به على ألسن رسله . **وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسله** ... والذين ينكرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره ، وما عرفوه حق معرفته ، ولا وصفوه حق صفته ، ولا عبدوه حق عبادته . والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة (مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ) في ثلاثة مواضع ، ليثبت عظمته في نفسه وما يستحقه من الصفات ، وليثبت وحدانيته وأنه لا يستحق العبادة إلا هو ، وليثبت ما أنزله على رسله . فقال في الزمر : (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ) الآية . وقال في الحج : (ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ * مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ) . وقال في الأنعام : (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ) . وفي المواضع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار ، فدلَّ ذلك

(١) سورة الأنعام: ٩١.

(٢) سورة الحج: ٧٣ – ٧٦.

(٣) سورة الزمر: ٦٤ – ٦٧.

على أنه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره ، كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته وأن يجاهد فيه حق جهاده) .[١]

فتعظيم الله تعالى هو الأصلُ الذي يسوق صاحبه إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة واجتناب الشرك ، والسبيلُ الذي يورث هذا الأصل هو العلم بالله تعالى الذي هو العلم بأسمائه وصفاته الدالة على كمال عظمته وكبريائه . ولذلك أخبر تعالى أنه إنّما يخشاه حق خشيته من كمل علمه به ، فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[٢] . والمراد : العلماء به ، الذين علموه بكماله في أسمائه وصفاته ، وما يجب له وما يتنزه عنه ويتقدس ، فعظموه وقدروه حق قدره ، وخشوه حق خشيته ، وأفردوه بالعبادة والطاعة . ومن ازداد به علماً ازداد له حباً ، وازداد منه خوفاً ، وازداد فيه رجاءً . قال الحافظ ابن كثير: (" إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ " أي : إنّما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى – كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر ... قال ابن لهيعة ، عن ابن أبي عمرة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : العالم بالرحمن من لم يشرك به شيئاً ، وأحلَّ حلاله ، وحرَّم حرامه ، وحفظ وصيته ، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله) .[٣] وختْمُ الآية بالاسمين العظيمين : (العزيز الغفور) ؛ تعليل لوجوب الخشية منه ، لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم ، وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم ، ومن بيده العقاب والثواب حقه أن يخشى.[٤] روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه : (" إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ " قال : الذين علموا أنَّ الله على كل شيء قدير).[٥] ففسر ابن عباس رضي الله عنه هذين الاسمين في الآية بلازم ما تضمّنه هذان الاسمان العظيمان ، وهو تمام القدرة الإلهية .

وقد كان هذا المقام – مقام تمام الخشية لله تعالى لتمام العلم به – هو المقام الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم ؛ أمرهم من الأعمال بما يطيقون ، قالوا: إنّا لسنا كهيئتك يا رسول الله ، إنَّ الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ، ثم يقول

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣، ١٦٠-١٦١ .

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

(٣) تفسير ابن كثير ٦,٥٤٤.

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري ٥,١٥٤ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤,٣٠٧.

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره ٢٠,٤٦٢ .

إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا) .[١] وعنها رضي الله عنها : (أنَّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه ، وهي تسمع من وراء الباب ، فقال: يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب ، أفأصوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم ، فقال : لستَ مثلنا يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي).[٢] وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إنّي لأعلمهم بالله وأشدُّهم له خشية) .[٣] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه في خبر الثلاثة رهط ، وسؤالهم عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فكأنهم تقالوها ! وقولهم : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمَن رغب عن سنتي فليس مني).[٤] يقول الحافظ ابن رجب: (فكونه أتقاهم لله يتضمن شدة اجتهاده في خصال التقوى وهو العمل ، وكونه أعلمهم به يتضمّن أنّ علمه بالله أفضل من علمهم بالله ، **وإنما زاد علمه بالله لمعنيين ؛ أحدهما: زيادة معرفته بتفاصيل أسمائه وصفاته وعظمته وكبريائه** ، وما يستحقه من الجلال والإكرام والإجلال والإعظام . والثاني: أنَّ علمه بالله مستند إلى عين اليقين ، فإنه رآه إما بعين بصره أو بعين بصيرته.. فلمّا زادت معرفة الرسول بربه زادت خشيته له وتقواه ، فإن العلم التام يستلزم الخشية ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[٥] فمن كان بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه أعلم ؛ كان له أخشى وأتقى ، وإنما تنقص الخشية والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله) .[٦]

وممّا ذكره الله تعالى في كتابه من حال مَن لم يقدره حق قدره ، ولا عظمه حق عظمته، لأنه ما عرفه حق معرفته – ما جاء من ذمه تعالى لمَن ظن به ظن السوء، الذي هو ظن الجاهلية ، وأنّ سبب ظنّ السوء هذا برب العالمين ؛ هو الجهل بكماله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله ، ومن أجل ذلك ظنوا به سبحانه ما هو خلاف حكمته ، وأنكروا قَدَرَه ، وأساءوا الظن بوعده لعباده المؤمنين ، وأنه معهم ، وهو المتكفل بنصرهم ، والدفاع عنهم ، وتمكينهم ، وإدالة الدولة لهم .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، ك الإيمان ، ح: ٢٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، ح: ١٨٦٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، ك الأدب ، ح٥٧٥٠ ، ومسلم في صحيحه ، ح٢٣٥٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، ك النكاح ، ح: ٤٧٧٦.

(٥) سورة فاطر: ٢٨ .

(٦) فتح الباري لابن رجب ١,٨٩–٩٠ ، وانظر: فتح الباري لابن حجر ١,٨٩ و ١٠,٥٣٠ .

قال تعالى: ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [3] .

فكلُّ مَن ظنَّ بالله خلاف ما دلّت عليه أسماؤه الحسنى من تمام حكمته ورحمته وعلمه وعدله وقدرته ، فقد ظنَّ به ظنَّ السوء . يقول ابن القيم عند هذه الآيات: (وقد فُسِّر هذا الظن الذي لا يليق بالله ، بأنّه سبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيضمحل ، وأنه يسلمه للقتل . وقد فسر بظنِّهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره ، ولا حكمة له فيه . ففسر بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر ، وإنكار أن يتمَّ أمر رسوله ، ويظهره على الدين كله . وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون به سبحانه وتعالى في سورة الفتح ، حيث يقول : (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) ، **وإنّما كان هذا ظن السوء ، وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل ، وظن غير الحق ، لأنَّه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء** . بخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهية ، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه ، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم ، ولجنده بأنهم هم الغالبون ... **ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته ، وعرف موجب حمده وحكمته ... وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصفته به رسله ، أو عطّل حقائق ما وصف به نفسه ، ووصفته به رسله فقد ظنَّ به ظنَّ السوء** ... فليعتنِ اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع ، وليتُب إلى الله تعالى ، وليستغفره كلَّ وقت من ظنّه بربه ظنَّ السوء ، وليظنَّ السوء بنفسه ، فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين وأرحم الراحمين ، الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة ، المنزه عن كل سوء

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٢) سورة الفتح: ١٢.

(٣) سورة الفتح: ٦.

في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه ، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه ، وصفاته كذلك ، وأفعاله كذلك، كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل ، وأسماؤه كلها حسنى). [1]

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وبعد فقد انتهى هذا البحث إلى ما يلي:- إنَّ مقصد الوحي من بسط ذكر أسماء الله تعالى وصفاته أمران : أحدهما : لبيان تمام كمال الرب وجلاله وعظمته وكبريائه ، والثاني : لبيان تفاصيل خصائص الرب سبحانه وبحمده ، التي تفرد وتوحَّد بها ، وأنها موجب استحقاقه لإفراده بمقتضياتها .

- أسماء الله الحسنى هي أصل التوحيد والإيمان وقاعدته ، لأنها المشتملة على صفات الله وأفعاله ، والدالة على معاني توحيده في ألوهيته وربوبيته وكماله في أسمائه وصفاته . فهي أسماء ذات معانٍ ، تدلُّ على كمال الله المطلق من كلِّ وجه ، وما يجب له من التوحيد والتنزيه ، وليست أعلاماً محضة ، ولذلك كانت حسنى .

- قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ واقع موقع التعليل ، تعليل استحقاق الله تعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، لما له من الأسماء الحسنى التي لا يماثله ولا ينازعه فيها أحد .

- قد دلَّ حديث : (إنّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) ؛ على دلالة الأسماء الحسنى على معاني التوحيد الواجب لله تعالى ، من جهة ترتيب الوعد بالجنة لمَن أحصاها ، فإنّ إحصاءها هو الطريق للعلم بتفاصيل كمال الربّ عز وجل ، وكلّما كان العبد بالله أعرف وأعلم كان له أخشى وأتقى . وإحصاء أسماء الله تعالى لا يتحقق ويكون نافعاً إلا إذا اجتمع فيه العلم بما دلّت عليه ، والعمل بما تقتضيه ، فاجتمع في إحصائها التوحيد العلمي والتوحيد العملي.

- قد دلّ قول الله تعالى : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ ، وقوله: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ على أنه لا يسلم من الظنِّ بالله ظنّ السوء ، إلّا من عرف الله ، وعرف أسماءه وصفاته ، وعرف موجب حمده وحكمته .

- والواجب على من تكلم في باب توحيد الأسماء والصفات ، وأبواب الاعتقاد عامة، أن لا يغفل ربط ذلك بجانب العمل والخشية ، وأن لا يذهب به الجدل في الرد على أهل البدع إلى صياغة الكلام في تلك المباحث صياغة كلامية توجب وحشة القلوب ولا تعينها على زيادة الإيمان والتقوى .

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٣، ٢٦٥-٢٧٥، وانظر القول السديد شرح كتاب التوحيد لابن سعدي ص،٢٧١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية ودار إحياء التراث العربي.

٢. ابن بطة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن حمدان العكبري : الإبانة الكبرى ، تحقيق عادل آل حمدان ، دار المنهج الأول الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ .

٣. ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام: مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، ١٤٢٥هـ .

٤. التدمرية ، تحقيق د. محمد عودة السعوي ،مكتبة دار المنهاج ، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ .

٥. شرح الأصبهانية، تحقيق د. محمد عودة السعوي،مكتبة دار المنهاج الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٦. ابن جرير محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر،دار المعارف بمصر الطبعة الأولى .

٧. ابن حجر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار المعرفة بيروت لبنان.

٨. ابن رجب عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق محمود شعبان وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٩. ابن سعدي عبد الرحمن بن ناصر: القول السديد شرح كتاب التوحيد، تحقيق صبري شاهين، دار الثبات، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .

١٠. تيسر الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان، اعتنى به سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

١١. ابن عثيمين محمد بن صالح : القواعد المثلى تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك،دار التدمرية،الطبعة الأولى١٤٣١هـ.

١٢. ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا : الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة .

١٣. ابن القيم أبو عبد الله بن أبي بكر ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد، تحقيق علي العمران، دار عالم الفوائد ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

١٤. طريق الهجرتين، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

١٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد ، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ.

١٦. مفتاح دار السعادة، تحقيق عبد الرحمن قايد، دار عالم الفوائد ، الطبعة الأولى .

١٧. مختصر الصواعق المرسلة، اختصار محمد بن الموصلي، تحقيق الحسن العلوي، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى١٤٢٥هـ.

١٨. مدارج السالكين،تحقيق مجموعة من الباحثين،دار الصميعي، الطبعة الأولى١٤٣٢هـ

١٩. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية المشهورة بالنونية ، تحقيق علي الحلبي ، دار ابن الجوزي١٤٢٥هـ.

٢٠. ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير :تفسير القرآن العظيم،تحقيق سامي السلامة،دار طيبة الرياض، ١٤٢٢هـ.

٢١. ابن يعيش يعيش بن علي بن يعيش الموصلي : شرح المفصل للزمخشري، قدم له الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٢٢. أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني: الحجة في بيان المحجة ، تحقيق محمد ربيع المدخلي ومحمد أبو رحيم ، دار الراية الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٢٣. أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي: اشتقاق أسماء الله، تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك ،مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٤. الآجري أبو بكر محمد بن الحسين الآجري : كتاب الشريعة ، تحقيق د. عبد الله بن عمر الدميجي ، دار الوطن الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٢٥. أبو حامد الغزالي: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة الفرقان القاهرة .

٢٦. البقاعي برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،دار الكتاب الإسلامي القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٢٧. الخطابي حمد بن محمد: شأن الدعاء، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ .

٢٨. الدارمي عثمان بن سعيد : رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية.

٢٩. الزجاج إبراهيم بن السري: تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ .

٣٠. القرطبي محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر.

٣١. محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، الدار التونسية تونس، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

Sources and References

The Holy Quran

1. Ibn Al-Atheer Majd Al-Din Abi Al-Saadat Al-Mubarak bin Muhammad: The End in Gharib Al-Hadith , verified by Mahmoud Muhammad Al-Tanahi , The Islamic Library and House of Revival of Arab Heritage.
2. Ibn Battah Abu Abdullah Ubayd Allah Ibn Muhammad Bin Hamdan Al-Akbari: The Greatest Report , Editing by : Al Hamdan , Dar Al-Manhaj Al-Awal Riyadh , First Edition 1436 AH.
3. Ibn Taymiyyah Abu Al-Abbas Ahmad bin Abd Al-Halim bin Abd Al-Salam: Collection of Fatwas , Collection and Arrangement of Abd Al-Rahman bin Qasim and his son Muhammad , King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an in Medina , 1425 AH.
4. Al-Tadmuriyya , investigation by Dr. Muhammad Oudah Al-Sa'awi , Dar Al-Minhaj Library , First Edition 1431 AH.
5. Explanation of Al-Asbahani , Dr. verified by: Muhammad Oudah Al-Sa'awi , Dar Al-Minhaj Library, Riyadh , First Edition, 1430 A.H.
6. Ibn Jarir Muhammad bin Jarir Al-Tabari: Jami Al-Bayan on the interpretation of the Qur'an , Tahqiyyah by Mahmoud Muhammad Shaker , Dar Al Ma'arif, Egypt, first edition.

7. Ibn Hajar Ahmad bin Ali bin Hajar Al-Asqalani: Fath Al-Bari, in the Explanation of Sahih Al-Bukhari , Dar Al-Marifa, Beirut Lebanon.
8. Ibn Rajab Abd Al-Rahman bin Shihab Al-Din Al-Baghdadi, then Al-Dimashqi: Fath Al-Bari, Sharh Sahih Al-Bukhari , verified by Mahmoud Shaaban and others , Al-Ghurabaa Archaeological Library, Medina of the Prophet , first edition 1417 AH.
9. Ibn Saadi Abd Al-Rahman bin Nasser: Correct Sayings: Explanation of Kitab Al-Tawheed , verified by Sabri Shaheen , Dar Al-Thabat , First Edition 1425 AH.
10. The Noble and Merciful Facilitating Interpretation of the words of Manan , Cared by :Saad bin Fawaz Al-Sumail , Dar Ibn Al-Jawzi , First Edition 1422 AH.
11. Ibn Uthaimin Muhammad Bin Salih: The Best Rules Commentary by Sheikh Abdul Rahman Al-Barrak , Dar Al-Tadmuriyyah , First Edition 1431 AH.
12. Ibn Faris Ahmad Ibn Faris Ibn Zakaria: Al-Sahbi on the Jurisprudence of the Arabic Language and Sunan of the Arabs in its speech , verified by Mr. Ahmed Saqr , Dar Revival of Arab Books , Cairo.
13. Ibn Al-Qayyim Abu Abdullah bin Abi Bakr Ibn Qayyim Al-Jawziyyah: Badaa'i Al-Fawaeed , Verification by Ali Al-Imran , Dar Alam Al-Fawwid , First Edition 1430 AH.
14. Al-Hijratayn Road , Edited by Muhammad Ajmal Al-Islahi , Dar Alam Al-Benefat , First Edition 1429 A.H.
15. Zad Al-Ebad in the Guidance of Khair Al-Ebad , verified by Muhammad Ajmal Al-Islahi , Dar Alam Al-Fawaid , First Edition 1439 AH
16. The key of the House of Happiness , verified by: Abd Al-Rahman Qaid , Dar Alam Al-Fawaeed , first edition.
17. The Compendium of the Thunderbolts Al-Mursala , Abbreviation of Muhammad ibn Al-Mawsili , Verification by Al-Hassan Al-Alawi , Adhwaa Al-Salaf Library , First Edition 1425 AH.
18. Runways for the Walkers , verified by: a Group of Researchers , Dar Al-Sumaiy , First Edition 1432 A.H.
19. Al-Kafia Al-Shifa in the Victory of the Famous Survivor band, the Nuniyah , verified by: Ali Al-Halabi , Dar Ibn Al-Jawzi 1425 AH.
20. Ibn Kathir, Ismail bin Omar bin Kathir: Interpretation of the Great Qur'an , verified by: Sami Al-Salamah's , Dar Taibah Riyadh , 1422 AH.
21. Ibn Ya'ish Ya'ish bin Ali bin Ya'ish Al-Mawsili: Explanation of Al-Mufassal by Al-Zamakhshari , presented to him by Dr. Emile Badi Ya'qub , Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya, Beirut First Edition, 1422 AH - 2001 AD.
22. Abu Al-Qasim Ismail bin Muhammad Al-Taymi Al-Asbahani: The Argument in the Statement of the Pilgrimage , verified by Muhammad Rabi 'Al-Madkhali and Muhammad Abu Rahim , Dar Al-Raya Al-Riyadh , first edition 1411 AH.
23. Abu Al-Qasim Abd Al-Rahman bin Ishaq Al-Zajaji: Deriving the Names of Allah , verified by Dr. Abd Al-Hussein Al-Mubarak , The Resala Foundation Beirut , Second Edition 1406 AH.
24. Al-Ajri Abu Bakr Muhammad Ibn Al-Hussein Al-Ajri: The Book of Sharia , verified by: Dr. Abdullah bin Omar Al-Dumaiji , Dar Al-Watan Riyadh , First Edition 1418 AH.
25. Abu Hamid Al-Ghazali: Al-Maqsad Al-Asna in Explaining the well-chosen Names of Allah , verified by Muhammad Othman Al-Khasht , Al-Furqan Library, Cairo.
26. Al-Buqai, Burhan Al-Din Ibrahim bin Omar Al-Buqa'i: Arranging the pearls in proportionality of the Verses and the Suras , Dar Al-Kitab Al-Islami Cairo , First Edition 1404 AH.

27. Al-Khattabi Hamad bin Muhammad: The Issue of supplication , verified by: Ahmed Yusef Al-Daqqaq , Arab Culture House , Third Edition 1413 AH.
28. Al-Darami Othman bin Saeed: Othman bin Saeed's Response to the Stubborn Bishr Al-Muraisy , verified by : Muhammad Hamid Al-Fiqi , second edition.
29. Al-Zujaj Ibrahim Ibn Al-Sirri: Interpretation of the well-chosen Names of Allah , verified by : Ahmed Yusef Al-Daqqaq , Arab Culture House , Fifth Edition 1413 AH.
30. Al-Qurtubi Muhammad bin Ahmed: The Collector of Rulings of the Qur'an , Dar Al-Fikr.
31. Muhammad Al-Taher Bin Ashour: Liberation and Enlightenment , Al-Dar Al-Tunisyya Tunisia , First Edition 1984 AD.